تنافس فيه المتنافسون، و أغلى ربحٍ تسابق إليه المتسابقون، ألا و هو الفوز برضى ربّ العالمين، فهل هناك ربحٌ و سعادةٌ أعظم من أن يكون العبدُ من أولياء الله المتقين ؟

فمحبةُ الله وولايته لا تُنالُ بالتسويف و الأماني، و إنما تُنالُ بأداء الفرائض، و الإكثار من النوافل، واتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و التمسك بها، يقول الله سبحانه في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[٦].

وها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث المسلمين على لزوم محاسبة النفس فيقول: «**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتُزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة]**»[٧].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الخليفة الراشد، ومن المبشرين بالجنة يحاسب نفسه فيقول : (**عمر بن الخطاب أميرُ**

[٦] أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

[٧] [رواه ابن أبي شيبة في المصنف].

المؤمنين بخٍ بخٍ، و الله لتتّقينَّ الله ابن الخطاب أو ليعذبنَّك)[٨]، فكيف بغيره ؟ .

واحذر من حسن الظن بنفسك، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في [مدارج السالكين (١/ ١٨٩)]: «**وَأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ فَإِنَّمَا احْتَاجَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ يَمْنَعُ مِنْ كَمَالِ التَّفْتِيشِ وَيُلَبِّسُ عَلَيْهِ، فَيَرَى الْمَسَاوِئَ مَحَاسِنَ، وَالْعُيُوبَ كَمَالًا، فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَرَى مَسَاوِئَ مَحْبُوبِهِ وَعُيُوبَهُ كَذَلِكَ....**

وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ».

فهلّا خلوتَ بنفسكَ، و ندِمتَ على ما كُتِبَ في صحيفتك، و نظرتَ في باطن نفسكَ قبل ظاهرها و حاسبتها، و هل سعيتَ في جهادها، فإن داومتَ على ذلك صَلُحَ قلبُك بإذن الله تعالى، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ **[العنكبوت]**.

[٨] الزهد لأحمد (٥٩٧).

سلسلة مطويات شبكة بينونة

محاسبة النفس

هي السبيل لصلاح القلب

الشيخ

د. سعيد بن سالم الدرملي

@baynoonanet @baynoonanetUAE

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

فإنّ لكلِّ واحدٍ منّا موقفًا سيقفه بين يديّ ربّه جلّ و علا، و هو موقف عظيم في يوم عظيم، يعرضون على ربهم حفاة عراة غرلا غير مختونين، الرجال والنساء سواء، قد شغلهم عظم الموقف عن النظر إلى بعضهم، قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١].

في ذلكم اليوم تدنو الشمس من الخلائق قدر ميل، فيلجمهم العرق إلجامًا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»[٢].

[١] [متفق عليه].

[٢] [رواه البخاري].

جميعهم يقفون في صعيد واحد، في أرض المحشر، حتى الحيوانات والدواب تشاركهم ذلكم الموقف.

و النّاس في ذلك الوقت سينقسمون إلى فريقين: منهم من يُحاسَبُ حسابًا يسيرًا، و منهم من يُحاسَبُ حسابًا عسيرًا، و من عُسّر عليه الحساب؛ فقد خاب و خَسِر، و من يُسّر عليه؛ فقد فاز و سُرِر.

فلك أن تتصور -أخي الموفق- شدة ذلك اليوم الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تغرب**»[٣].

فهل تساءلتَ أخي المسلم عن الأسباب التي تجعل حسابَك في ذلك اليوم يسيرًا ؟

الأسباب كثيرةٌ و عظيمة، و لكن مِن أهمّها و أعظمها؛ محاسبة النفس في الدنيا، فهي من آكد الواجبات على العبد، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ **[الحشر] يقول تعالى: لينظرْ أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال : أمِنَ الصالحات التي تنجّيه، أم مِن السيئات التي توبقه ؟**).

قال قتادة: «**ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها**

[٣] [رواه ابن حبان].

كغد»، **والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها**)أهـ[٤].

فعليك أخي المسلم أن تكون في محاسبتك لنفسك؛ كمحاسبة الشريك لشريكه، قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لا يكون العبد تقيًا حتى يكون لنفسه أشدّ من الشريك لشريكه، و لهذا قيل: النفس كالشريك الخوّان ، إن لم تحاسبه ذهب بمالك**)[٥]، فعليك أن تكون هكذا مع نفسك، فتسأل نفسك عن رأس مالك في دينك ماذا فعلت فيه ؟

ورأس مالك هو الفرائض .

و عن ربحك ؟

و هي النوافل و الفضائل.

و عن خسارتك؟

وهي تعدّيك وتضييعك لحدود الله جلا و علا.

و كيف كنت تحافظ على موسم التجارة ؟

وهو الليل و النهار .

فتنظر هل كنت من الرابحين الفائزين أم من الخاسرين المضيّعين؟

واعلم أن الربح في هذه التجارة عظيم، و هو أعظم ما

[٤] اغاثة اللهفان (٨٤/ ١).

[٥] محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص١٥.